حركة النسخ ودورها في حفظ وتحقيق المخطوطات
نمـــاذج تطبيقية من أقاليم توات–

الأستاذ: عبد القادر قصباوي

جامعة أدرار

نود الغوص في جنبات هذه المداخلة من خلال عناوين ثلاث يكون الوقوف على الكتابة والنسخ أولها منوهين بالسيروة التاريخية في اقتضاب شديد عن عوالم الكتابة والنساخ، ليكون العنوان الثاني النسخ من خلال المادة الأولية من الحجارة واللخاف إلى الورق، ومن ثم الولوج لتقنية النسخ وضوابطه، ومن هنا يتجذر مصطلح النسخ من الثلاثي "ن/س/خ" ليفيد: [1]

لإزالة والمحو: من باب منعه وأزاله.

لكتاب: نقله فإذا استوى على شاكلة الكتاب الأول سمي نسخة

الأزمنة: تفيد تداولها أو الانقراض من قرن لآخر

فيقال نسخ الشيء واستنسخه اكتتبه؛ فمن ضمن المعاني التي نضحت بها اللفظة تقييد مادة ومضمون الكتاب إلى مؤلَّف آخر يسمى النُّسخة.

وقبل الولوج إلى عالم المخطوط نقف وقفة مختصرة عند الخط وكيف عرفته البشرية عموما والعرب على وجه الخصوص.

الكتابة والنسخ عبر الأزمان

يعتبر الخط أو الكتابة أبرز الفتوحات على البشرية جمعاء فهي الوعاء الذي يحفظ مد عطاءات الأجيال عبر القرون المتعاقبة، فعمل الإنسان على تسجيل المعرفة والأفكار، من هنا يمكن القول أن اختراع الكتابة مرَّ بمراحل ثلاث:

الكتابة التصورية.

الكتابة الرمزية

الكتابة الأبجدية.

---

[1]- القاموس المحيط، محمد الدين بن محمد يعقوب الفيروزأبادي، دار الحديث، القاهرة، مصر، مراجعة أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، 1429هـ /2008م، ص 1604، و لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، النيل، مجلد 06، ج 48، ص 4407.

فنظرا لحاجة الإنسان للتواصل والتعبير عمَّا يجيش في خلده من خواطر وأفكار كانت الصورة المعبر عن ذلك وهو ما نلفيه لدى بعض الحضارات التي بقيت نقوشها شاهدة على ذلك، ليُخْتصر الأمر في الرموز والإشارات، ومن ثَم كان التمهيد لظهور الكتابة، على يد الفينيقيين، يقول ربحي مصطفى عليان في: « يرجع الفضل في اختراعها إلى الفينيقيين منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد، وقد انتقلت الكتابة الأبجدية إلى بقية أنحاء العالم ومنها تطورت الكتابات اليونانية والرومانية وغيرها من الكتابات العالمية»[1]

فنتيجة تلاقح الحضارات شهدت الصين في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد نهضة فكرية انعكست إيجابا على حجم ما خُط ونسخ من مخطوطات تجلى ذلك في ظهور العديد من الكتب والمكتبات الأمر الذي قادهم لتطوير لغتهم الأم نتيجة تلاقحها مع الثقافة اليونانية.

أما عن حضارة ما بين النهرين "البابليين والأشوريين" فتتوسم فيها الجانب المنهجي ويتجلى بوضوح في خطة آشور بانيبال « الذي عني بجمع تراث البابليين والأشوريين في مختلف فروع المعرفة في مكتبة جند لها عددا من الموظفين والنُساخ وأمر أن تودع بها نسخ من المدونات الهامة كتبا أو رسائل أو وثائق »[2] وتتجلى معالم خطته في وضعه محاور كبرى يتم التصنيف وفقها وهي : التاريخ و القانون و العلوم و السحر و العقائد و الأساطير، إن هذا التنوع ليدل على الثقافة الواسعة لهذا الشعب واهتمامه بهذا الجانب المهم حيث الحرص على وصال الأجيال، وهو ما كان من خلال مخطوطاتهم ثلاثين ألفا من الألواح.

و انطلاقا من القاعدة المشهورة لدى المصريين من سالف الأزمان " من لم يقيد في وثيقة يعد غير موجود" احتل القلم والكتاب المراتب الأولى عندهم، فعمدوا لتدوين ونسخِ العديد من الوصايا والتعاليم الدينية والأخلاقية، في إشارة بينة لعنايتهم و اهتمامهم بتعاليم دينهم خوفا من ضياعها معيدين صياغة نسخها من جديد، وهو ما كان في العصر البطليمي الذي كانت فيه « الإسكندرية المركز الرئيسي للوثائق الرسمية حيث كان أرشيف الدولة ودار وثائقها في القصر الملكي في منطقة لوخياس »[3] وبذا فقد عرف الإنسان طريقه ليدوِّن ما تجود به قريحته وأفكاره وغرضه في ذلك نقل تراثه للأجيال، وتدوين أسمائهم عبر الزمن، كما أن هاته الكتابة من شأنها أن تكشف عن حيوات هاته الأمم ومدى تحضرهم وأنماط عيشهم.....

---

[1] مباديء في علم المكتبات والمعلومات، ربحي مصطفى عليان، دار صفاء للنشر، ط01، 1432هـ 2011م، ص 12.

[2] المرجع في علم المكتبات،فادي عبد الحميد، دار أسامة،دار المشرق العربي، عمان الأردن، ط2006،01، ص 16.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

على أن العرب قد عرفوا الكتابة قبل مجيء الإسلام في بيئة الجزيرة العربية نتيجة اتصالهم بالحضارات آنذاك مثل الرومية والفارسية، بل ذهب بعض الباحثين إلى القول بوجود بعض المكتبات التي كان يتعلم فيها الصبيان الكتابة واتخذوا لهم معلمين ذوي درجات رفيعة في التعليم أمثال أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ومن ضمن الذين تعلموا في هاته الكتاتيب وطار صيتهم في الأمصار عدي بن زيد العبادي الذي أوكله أباه الكتاب إلى أن اشتد عوده وأبحر في العربية وفنونها فدخل ديوان كسرى، وكان من أوائل من كتب بالعربية في ديوان كسرى[1] .

فالعربي لم يكن بمعزل عن العالم وما يدور حوله فقد تأثروا بالحضارات الأخرى آخذين ما يتماشى وواقعهم المعيش ويعد الخط أحدها، فقد كانوا أرباب بيان ولغة، ومن ضمن النقوش القديمة نجد نقش امريء القيس الذي يرجع لعام" 318 م"، فضلا عن نقش تدمير خيبر سنة "577م"، بل أن الأمر يعود لأبعد من ذلك فيما يروى أن أقدم نقش عربي يرجع إلى عصر البطالسة"301– 300 ق م" مدون بالخط العربي على تابوت المتجر المعيني"زيد أبل"[2]، من هنا يمكن القول أن العرب عرفوا الكتابة والخط وإن كان معتمدهم على الشفاهة في عصر ما قبل صدر الإسلام من خلال حفظهم واستظهارهم للشعر والتباهي به في محافلهم مثل أسواق عكاظ والمربد ... لكن ماذا عن التدوين؟

لم يبلغ اهتمامهم مبلغ الحضارات السالفة الذكر في هذا الجانب، كما لا يعني من ذلك جهلهم؛ ويمكن أن يعزى ذلك لطابع البداوة التي كانوا يعيشونها حيث الحل والترحال إلى مواطن الخصب والكلأ، مما يعني عدم توفر مواد جيدة للكتابة، لكن مع مجيء الإسلام بدأ الاهتمام الممنهج والمقصود لذلك فكان النص القرآني أول نص بالعربية يتخذ شكل كتاب إلى جانب هذا تدوين الحديث النبوي الشريف متخذين في ذلك معايير دقيقة من جرح وتعديل، وهكذا بدأ التدوين والنسخ يتسع شيئا فشيئا فما كاد القرن الثالث الهجري يأفل نجمه حتى كثرت المؤلفات في مختلف العلوم يقول ابن خلدون في هذا الصدد منوّها بالكتابة ودور النسخ فيها « فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار، ونسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية»[3]. كما يعد نسخ

---

[1] ينظر لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، 1391 هـ 1971م، بيروت لبنان، ص 18.

[2] ينظر مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، حسان حلاق، دار النهضة العربيةبيروت لبنان، ط 01، 1425هـ 2004،

[3] مقدمة ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق سوريا، ط01 1425هـ 2004م، 128/2

القرآن الكريم في خلافة عثمان بن عفان ظاهرة لها أهميتها في تاريخ النسخ العربي وهو ما مكَّن من جمع الناس حول مصحف واحد والغرض الأسمى من ذلك حفظ متن النص كما تلفظ به – عليه الصلاة والسلام– وهو الأمر الذي تعمل منهجية تحقيق النصوص عليه، حيث حفظه من الضياع ومن ثَم إخراجه على الوضع الذي رآه مؤلفه .

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات الإسلامية، استفاد العرب والمسلمون من الحضارات الأخرى، وهو ما كان في العصر العباسي أوج التطور الحضاري والفكري فكثرت حِلق الدروس والعلوم، واتخذ الحكام والأمراء مؤدبين خاصين بهم ويمكن إرجاع هذا التطور في هذا العصر تحديدا إلى:

طور وانتعاش حركة التأليف والترجمة

انتشار صناعة الورق

هور حركة الوراقين الذين عمدوا لنسخ المخطوطات وتأجيرها وبيعها.

وفي هذا الصدد يمكن الوقوف على خدمة الوراقين ودورهم البارز في إخراج النسخ ومنهجيتهم وهم ينسخون ما جدت به قرائح العلماء وهذا ما سنعرفه في هذا العنوان:

النسخ بين الرق والورق:

الرق بفتح الراء وكسرها جلد رقيق يكتب عليه، وهو ضد الغليظ[1]، يصنع من جلد الحيوانات "خنزير عجل أو خرف وماعز ...." وله تسميات خاصة انطلاقا من الحيوان الذي أُخذ منه، ومن ضمن أنواع الرّق متوفرة وقْتذاك ما يسمى بـ "القضيم" المتخذ من عجل صغير السن بعد ولادته ومميزاته

« الرقة والليونة وهي مميزات تجعل مادته ثمينة ومطلوبة جدا»[2] وبعكس ذلك يكون ثمن رق عجل كبير غير مكلف.

أما عن طريقة تحضيره فيتم بتخليص الجلد من الشعر العالق به، ليغمس بعدها في ماء الجير والغرض من ذلك نزع الشعر بسهولة كبيرة ليتم كشط الجهة السفلى الموالية للجسم وإزالة ما علق بها بعناية ودقة وتختلف هاته العملية من عامل لآخر، ومن حيوان لآخر فالحيوان الكبير في السن يتطلب صبرا في الكشط مع رداءة جلده، بخلاف الحيوان الصغير، وقد شهد هذا العمل في

---

[1] ينظر القاموس المحيط، محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، دار الحديث، القاهرة مصر، مراجعة واعتناء أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، 1429 هـ 2008، ص 661.

[2] مدخل إلى علم المخطوطات، جاك لومير، تر مصطفى طوبي، إشراف وتقديم أحمد شوقي بنين، ط 01، 1427هـ 2006م، المطبعة الورقية، مراكش المغرب، ص41–42.

القرن الخامس عشر للميلاد إتقانا كبيرا وصل إلى درجة التباس الأمر على المشتري في التمييز بين جلد الحيوان الكبير والصغير يقول جاك لومير« ... ووصلت تقنية الصقل في القرون الأخيرة من العصر الوسيط خاصة في القرن 15 درجة عالية من الجودة إلى حد يظهر فيه جلد الخروف الذي هو مادة خشنة بعض الشيء وزهيدة الثمن للوهلة الأولى مشابهة لجلد العجل»[1] كان هذا العمل لدى الغرب في القرون الوسطى فماذا اهتمام العرب به، وقد لاقى المصطلح ظلاله في العالم الحديث وبات يعرف بعلم الكوديكولوجيا؛ وهو الاهتمام بالجانب المادي للمخطوط، وقد اصطلح عليه في عليه في الأدبيات الغربية بعلم آثار الكتاب.

وقفنا فيما مضى عند معرفة العرب بالكتابة خاصة عصر صدر الإسلام زمن الحاجة للتدوين، فاتَّخذوا لذلك أكتاف الإبل واللِّخاف وعسب النخيل، ويذكر محمد عبد السلام هارون[2] معرفة العرب بالرق وقد عمدوا لدباغته بالنورة، ونظرا لشدتها وجفافها استعيض عنه بالدبغ بالتمر لليونته، ونتيجة لعامل التأثر والانفتاح تم استعمال الورق الخرساني الذي كان يعمل من الكتان في عصر بني أمية وإبان الدولة العباسية، وربما تأثروا في صنعه بالصينين ومن أنواعه: الطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري و الطاهري.

فوجد العرب كتابة ونسخ المخطوطات على هاته الجلود والرق بديلا أفضل من كتابتها على اللِّخاف والحجارة للصعوبة التي تكتنفها من ثقل وعسر كتابة وللحاجة إليها زمنذاك واستمر الحال على هاته الشاكلة لتشمل الكتابة والنسخ للرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك أيضا، ولما كَثُر التأليف والتدوين بات الحصول على الرق صعبا فكانت الحاجة لبديل أكثر يسرا من الرق وهو ما كان إشارة

« الفضل بن يحي بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده لمكتوباتهم السلطانية والعلمية »[3] ومع ذلك صاحب النسخ على الرق النسخ على الجلود لكون الكتابة على هذا الأخير تبقى زمنا طويلا....

والآن بعدما وقفنا عند المادة الأولية للنسخ نكون قد وصلنا لمربط الفرس من هذا البحث وهم النساخون ودورهم الفعَّال في وصول العديد من المخطوطات إلينا فقد يضيع المخطوط الأصل الذي كتبه المؤلف بيده أو الذي أملاه فكلما تعددت النسخ للمخطوطة الواحدة كلما كان أطول

---

[1] مدخل إلى علم المخطوطات، جاك لومير، تر مصطفى طوبي، إشراف وتقديم أحمد شوقي بنين، ص 45.

[2] تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط07، 1418هـ 1998م، ص 16.

[3] مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون،128/2.

عمرا إلى أن تتلقفه الأيدي بالتحقيق وهو الهدف من المخطوط ككل، وسنقف عند نماذج ندلل بها على أهمية النظر في أمر الوراقين إيجابا وسلبا.

يعد العصر العباسي عصر انفتاح الدولة الإسلامية وعصر فتوتها وقوتها فكان أن أثر لهذا الوضع تأثيرا جميع الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية نتيجة اتساع رقعة الدولة وتأثرها بالمحيط المجاور لها، مما يعني الحاجة أكثر للتدوين وتوثيق العهود فكَثُر النساخون وعرفوا بالوراقين نسبة لعملهم في النسخ والتدوين والتجليد.... فكان تأثيرهم ذا نفع كبير على المخطوط من خلال تعدد النسخ للمخطوطة الواحدة، وقد عدد الجاحظ في الحيوان نماذج من الخزائن وما حوته من نسخ خطية فـ[1]:

– خالد بن يحي البرمكي لم يكن في خزانة كتبه كتابا إلا وله ثلاث نسخ

– كان في خزانة العزيز بالله ثلاثين نسخة من كتاب العين ومائة نسخة من الجمهرة لابن دريد.

– حوت خزانة الفاطميين ألف ومائتين نسخة من تاريخ الطبري.

كما أن الفرَّاء لما أوكله أمير المؤمنين المأمون بتأليف كتاب في أصول النحو وما سمع عن العرب، صيَّر له الوراقين للنسخ، وهو أمر ذا بال وأهمية يدلل على أهميتهم ودورهم الفعَّال في بناء الدولة حيث حفظ ما حوته صدور الرجال من علم في شتى ضروب المعرفة بطريق النسخ والتقييد.

أما عن الذين عمدوا لصناعة الرِّق للكتابة عليه فقد اتخذوها مهنة للكسب، وقد سلك النهج ذاته النساخون أمثال مالك بن دينار السامي و أبو يحي البصري الزاهد، ومن النَّساخين من العلماء في القرن الخامس الهجري أبوعلي محمد بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري"ت 430هـ" نزيل مصر يقول ابن النديم في عبد الله بن محمد بن وداع بن هانيء الأزدي في رضائه بما قُدم له من أجر إزاء نسخه

« حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس، ويأخذ حطة الثمن »[2] وممن عرفوا بسرعة الخط يوسف الأبناوي القاضي إذ يذكر لما قدم سفيان الثوري اليمن فقال اطلبوا لي كاتبا سريع الخط فارتادوني فكنت أكتب له .

---

[1] الحيوان، عثمان بن بحر بن محبوب الجاحظ، شرح وتحقيق يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال، المجلد الأول، 43/1، وينظر أيضا تحقيق النصوص ونشرها، ص 20.

[2] كتاب الفهرست،محمد بن يعقوب إسحق ابن النديم، تح رضا– تجدد، 88/1.

إن الشيء المشجع على انتشار الوراقين وكثرة نسخ المخطوط خاصة زمن التكسب وهو الطلب المتزايد على النسخ وفي ذلك الكثير المدلل على الاهتمام بطلب العلم وحب التطلع للمعرفة، فالفرَّاء لما أنهى مؤلفه معاني القرآن خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به، مشترطين درهما لكل خمس أوراق، الأمر الذي أثقل كاهل الناس مشتكين أمرهم للفرَّاء فلما قصدهم للتسهيل، أبَو محتجين بملازمتهم أياه قصد الانتفاع منه، فما كان إلا أن جلس لإملاء معاني القرآن للناس بأكثر شرح وغزارة معان، فما كان منهم إلا أن رجعوا ورضوا بدرهم لكل عشرة أوراق وهذا الأجر لـ « ينبيء في جلاء واضح عن كثرة الوراقين بالقدر الذي يهبط به الأجر إلى هذا المستوى»[1]

كما اختص بعض النساخين بعلماء يكتبون لهم فللعباس بن محمد بن يزيد وراقون أمثال ابن الزجاجي واسمه اسماعيل بن محمد

تقنية النسخ وضوابطه:

ولما لهذا العمل من أهمية بالغة ودور فعّال في حفظ وضبط النصوص من الضياع اتُّخذت لذلك إجراءت منها ما تعلق بالناسخ وبعضها بالنصوص كما اختلفت أضرب النسخ من ناسخ لآخر تبعا لثقافته ووعيه للفعل الذي يقوم به، ومن خلال تتبع بعض المخطوطات يمكن القول إن عملية النسخ تمر بـــــ:

– **عمل إنفرادي** من طرف الناسخ كأن يقوم بالنسخ من مخطوطة ما دون مساعدة، وبعد الانتهاء من هذا العمل يعمل على المقابلة بين النسخة التي نسخها والمخطوطة الأولى سواء أكان أصلا أو نسخة، ذاهبا لتصحيح ما نسخ، ويكون هذا التصحيح إما :

الكشط وهو سلخ الورق بسكينة أو نحوها لإزالة الخطأ

أن يجعل الخط فوق الحروف منفصلا عنها مشكلا زاوية قائمة في طرفيه

أن يكتب لفظة "لا " أو "من" فوقه من طرفه و "إلى " إلى الطرف الآخر والقصد تعيين الخطأ.

أن يضع في بداية الكلام الخاطيء وفي آخره علامة "0"

بالضرب على ما نسخ بخط أفقي على الكلام، ويعد هذا الأخير أفضل من الكشط والأمور الأخرى المشار إليها نظرا للتداخل الذي تحدثه خاصة إذا تكرر الخطأ وطمى فيعيب النسخة ويعيق القراءة بالنسبة لناسخ آخر مما من شأنه أن يوقعه في اللبس أو الزيادة، حتى إذا وصلت

[1] تحقيق النصوص ونشرها، محمد عبد السلام هارون، ص 24.

النسخة للمحقق وجدها ملأى بالأخطاء فيكون الناسخ قد ساهم بشكل أو بآخر في عدم إخراج النص على الصيغة التي رآها صاحب المخطوط .

العمل الثاني وهو الإملاء وهو أن يجلس الناسخ عند شيخه أو تلاميذ شيخ ما فيملي من مخطوطه مثلا، ولما ينهي العملية يصل إلى مرحلة المقابلة والتصحيح والغرض من هاته العملية الإكثار من النسخ حتى تعم فائدتها، والأمر نجده في العصر العباسي لمن اتخذوا نسّاخا خاصين بهم أمثال:

أبو الحسن علي عبد الله بن أبي هاشم المعري الذي لزم العلاء ونسخ له كتبه دون أجر.

القاضي أبو المطرف قاض جماعة قرطبة تَخِذ ست وراقين ينسخون له، ولم يخل العمل من جهد المرأة في هذا المجال وهو ما كان مع ثناء الكاتبة جارية ابن فيوما، وقد وصل الأمر في دور العلم ببغداد بمكتباتها قدوم النُّساخ إليها لنسخ الكتب المراد الحصول عليها، مما يعني الكم الهائل من النسخ المتوفرة في دور العلم آنذاك، فالعمل جليل والنهوض به يحتاج لإدامة الصبر والتأني والتثبت في النقل، فلا يقوم به إلا محب له، وما يدل ذلك التنويع في الألوان للعناوين المسهلة للقاريء فيما بعد وهو ما نجده عند محمد بن عبد الله بن محمد بن عطوس"ت 610 هـ" فمما امتاز به في ضبطه بالألوان استعماله:

الأحمر: للضمة، الفتحة والكسرة.

الأخضر: للهمزات المكسورة.

الأصفر: للهمزات المفتوحة

لا توجد استدراكات في الحواشي، وكأنه يعيد الصفحة التي كتبها لمجرد خطإ فيها.

وتختلف هاته التقنية تبعا لجدية الناسخ واهتمامه، والمخطوطات في هذا الجانب كثيرة، ومن ضمن المخطوطات التي نستشهد "تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول"[1] للقاضي عياض

[1] مخطوطة بخزانة الشيخ عبد الرحمن بن أمحمد، قصبة مرابطين أنزجمير دائرة زاوية كنتة، ادرار ، الجزائر.

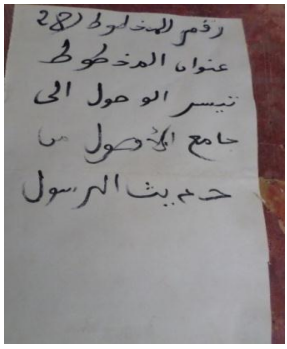

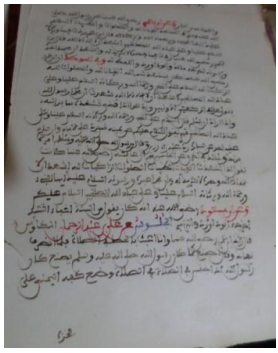

ويظهر أن المخطوط قد جلد بعناية، وقد صبغ باللون الأحمر، والناسخ أجاد في استعمال الألوان"الأحمر للعنعنة"، والأزرق لنهاية القول.....

على أن هناك بعض النساخ الذين ذهبوا لنسخ بعض المخطوطات على الورق من أبيض وأسود وهو ما نجده عند الشيخ أحمد بن الحبيب♦ الذي عمد لنسخ مؤلف لم يذكر عنوانه و لا المؤلف في البداية ولا النهاية إلا ما صرحت به الأبيات وعمد لنسخ الأبيات مباشرة

اللوحة

الأولى من المخطوط اللوحة الأخيرة من المخطوط

♦أحد العلماء بقصبة المرابطين قصر أنزجمير ولد 1343هـ 1924م، إماما ومعلما له مجلس إفتاء وعلم كما كان مؤرخا ونسّابة من ضمن المخطوطات التي قام بنسخها (عبر القرآن، وتسهيل حفظ الحذف للطلاب....) توفي 1424هـ –2003م، ترك خزانة مليئة بأمهات الكتب منها(شرح معونة الغريب لعبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري و المورد العنبري لمعاني العبقري لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن التنيلاني وتحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس لمحمد بن أب التواتي....) .

ومن ضمن الشواهد القائمة على أهمية النسخ إحدى العوامل المهمة و المساعدة في التحقيق مخطوط لم يعرف ناسخه أحمد بن عبد الرحمن بن لحبيب المؤلف للمخطوط فقال "كتاب ترحيل الشمس لبعض المتأخرين" والملاحظة لبعض المتأخرين مهمة تجعل المحقق أو الباحث عن المؤلف يتجه فكره للعلماء المتأخرين في مرحلة الناسخ أو قبلها بقليل، وهو ما كان عند هاته المخطوطة، فلما قصدنا إحدى الخزائن في توات وبالضبط بقصر تيمادنين وصاحب الخزانة: المليانى عابدين[1] وجدنا المخطوطة بخط مؤلفها وهو أحد المتأخرين كما أسلف الناسخ وعنوانها "الأرجوزة اللميعة" وقد كتبت بحبر أصفر وهو الحبر المكتوب به في ذلك الوقت، على أن النسخة كتبت بالحبر اسود؛ المأخوذ مما علق بالبرمة من الخارج وهو المستعمل في كتابة الألواح في بعض الكتاتيب إلى
يومنا هذا وإليكم الصورة:

اللوحة الأخيرة من المخطوط

الأصل بيد المؤلف لوحة من المخطوطة للناسخ

يضاف إلى هذا ذهاب بعض العلماء إلى تكليف بعض طلبتهم بنسخ بعض المخطوطات التي يرونها مهمة وهو ما كان مع "أحمد بن عبد الرحمن " السالف الذكر والذي كّلف أحد طلبته ممن توسم فيهم الأمانة وحسن الخط ويبقى مخطوط "عبارة على رسم القرآن وتجويده " دالا على ذلك فناسخه هو لكبير مكي أحد طلبة الشيخ وقد ذكر ذلك **في آخر لوحة من** النسخة وإليكموها

[1] مشافهة رب الخزانة" المليانى عابدين" بمسكنه يوم : 2014/12/2، بقصر تيمادنين على الساعة 17:10.

اللوحة الأولى من المخطوط اللوحة الأخيرة من المخطوط

وتظهر بها عناية الناسخ التلميذ لشيخه، من خلال إعادة بعض المعاني المقصودة في المخطوطة والتي عليها المرتكز.

كما أنه يتوجب على الناسخ للمخطوط أن يتحلى بجملة من الآداب خاصة وهو ينسخ ما تعلق بالعلوم الشرعية "قرآن كريم،و حديث نبوي شريف، وأمور الدين.... " ومن ضمن ما ينبغي التحلي به[1]:

أن يكون على طهارة.، وأن يستقبل القبلة طاهر البدن والثياب والحبر والورق متحريا نوع الرق الذي يكتب عليه فلا يكون متخذ من جلد خنزير مثلا، وهو الأمر الذي ألفيناه سالفا لدى الغرب واستعمالهم لجلد الخنزير مادة أولية لمخطوط .

- أن يبتديء الكتاب ببسم الله الرحمن الرحمن الرحيم ويختمه بالحمدلة والصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

ومن ضمن أوجه اعتناء بعض النساخ تسهيلهم قراءة النص بسهولة للقاريء والمحقق إضافة إلى :

تعليم بدايات الكلام وآخره بإشارات بلون مغايرة لخط المتن وهو ما نلحظه في نوازل الجنتوري ، حيث جاءت أداة الربط الواو بلون أحمر وفوقها خط"وَ"، كما أتى حرف الفاء في "فَجوابه" بلون أحمر وفوقه فتحة من ذات اللون

[1] منهج البحث وتحقيق النصوص، يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 01، 2008/1993، ص 99.

من نماذج اعتناء بعض النُّساخ ذهابهم لشكْل المخطوط بأكمله بلون مغاير للكتابة، وزخرفة بعض الأبواب وبدايات الفصول، مثل ما نلفيه لدى عبد القادر بن الحاج عبد العزيز بن سالم بن يوسف المطارفي لما نسخ مخطوطة "منظومة العياشي في بيوع بن جماعة"

اللوحة الأولى من المخطوط اللوحة الأخيرة من المخطوط

الوقوف على أطراف الكلام النماذج الحديثة التي نستشهد بها في هذا المقام ما يقوم به الطيب شاري المتعهد لخزانة البلباليين بكوسام من إعادة نسخ مخطوطات الخزانة

واستمرت عملية النسخ عبر الأجيال من جيل لجيل إلى أن يصل المخطوط في يد المحقق لنتشله من الضياع بعدما قد من ضمن الشواهد التي نقف عندها مخطوط

ما يؤاخذ به بعض النُّساخ ترك الفراغات فيما يكتبون ولعل مرجعية ذلك لعدم فهمهم لما وجدوه مكتوبا أو بسبب محو أو سلخ أوضرب على الكلمة، ومع ذلك لا يشير الناسخ لذلك في الهامش مما من شأنه أن يوقع المحقق في الشك، خاصة إذا لم يتحصل على النسخة الأصل أو نسخة أخرى تعلل على الأقل الفراغ، وهو ما ألفيناه لدى "سالم بن عبد الكريم الأزواوي" لما عمد لنسخ مخطوط "عبيد الرحمن عبد القادر" وعنوانه التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل في أحكام المغارسة والتمييز والتوليج ، وقد أعطاه عنوان آخر بعنوان "التعريج والتبريج في أحكام المغارسة والتوليج والتميز"[1]

[1] المخطوط موجود بخزانة الشيخ: أحمد بن عبد الرحمن بن الحبيب، رب الخزانة الشيخ عبد السلام، قصر أنزجمير مرابطين السالف ذكره .

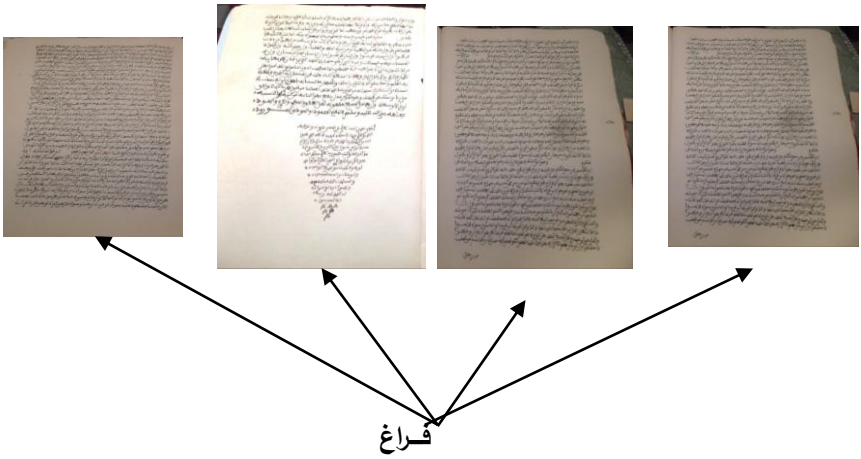

نماذج فراغات في المخطوط من دون تعليل ذلك في الهامش

من خلال الشواهد التطبيقية التي وقفنا عندها يمكن القول أن عملية النسخ باتت تعرف خفوتا ونقصا نظرا للتطور التكنولوجي والمعلوماتي الذي يؤدي لرقمنة وحفظ المخطوطات في أقراص وأجهزة تختصر الزمن وتحفظ المخطوط في صورة أفضل، إلا أننا ننوه بالمجهود الذي يقوم بها "الشاري الطيب" صاحب خزانة كوسام أحد النساخ المعاصرين الذين أخذوا على عاتقهم احتضان هذا الإرث الحضاري والفكري، وقد أحب هذا العمل واشتغل عليه منذ سنة 1978[1]، وقد نيف ما نسخ عن المائة مخطوط، وهو عمل جدير بالتنويه والإكبار.

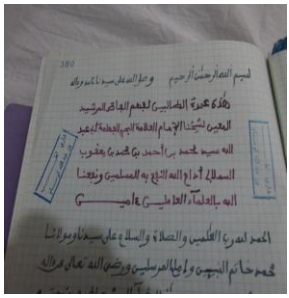

من خلال الوقفة المختصرة والعاجلة على عالم النساخ وسيرورتهم التاريخية يمكن الوقوف على أهم ما جدت به هاته المداخلة في هاته النقاط:

[1] مقابلة شفهية من داخل الخزانة مع صاحبها الطيب الشاري، بقصر كوسام . يوم الإثنين، 24 فيفري 2014م ، على الساعة:17:30 مساء.

- عرف الإنسان الكتابة والخط منذ سالف الأزمان فهو وسيلته المعبرة لنقل حضارته للأجيال .
- يعتبر اللخاف والعسب والرق والبردي ... أوائل المادة الأولية للكتابة و النسخ .
- يعتبر العصر العباسي عصر الريادة في نسخ المخطوطات وإجادتها كما اتخذه النساخ تكسبا.
- يختلف إخراج المنسوخات وسبكها وإجادتها من ناسخ لآخر تبعا لمكانته وهدفه من النسخ ولمن ينسخ...
- للنسخ آداب يجب على الناسخ التحلي بها خاصة ما تعلق بنسخ العلوم الشرعية
- يعتبر الناسخ حلقة مهمة في حفظ المخطوطات من الضياع، ومن ثَم العمل الجليل الذي يقدمه للمحقق من خلال المخطوطات التي يتيحها للتحقيق .

آمل من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت ولو في إنارة الجانب اليسير عن عالم نسخ المخطوطوت وما يكتنفه، نسأله هو وحده التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصادر و مراجـــع المداخلة

–الحيوان، عثمان بن بحر بن محبوب الجاحظ، شرح وتحقيق يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال، المجلد الأول

–كتاب الفهرست،محمد بن يعقوب إسحق ابن النديم، تح رضا– تجدد..

–لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، النيل، مجلد 06، ج 48.

–لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، 1391 هـ 1971م، بيروت لبنان.

–مباديء في علم المكتبات والمعلومات، ربحي مصطفى عليان، دار صفاء للنشر، ط01، 1432هـ 2011م.

–مدخل إلى علم المخطوطات، جاك لومير، تر مصطفى طوبي، إشراف وتقديم أحمد شوقي بنين، ط 01، 1427هـ 2006م، المطبعة الورقية، مراكش المغرب

–مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق سوريا، ط01 1425هـ 2004م.

–مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، حسان حلاق، دار النهضة العربية،بيروت لبنان، ط 01، 1425هـ 2004.

–منهج البحث وتحقيق النصوص، يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 01، 2008/1993.

–المرجع في علم المكتبات،فادي عبد الحميد، دار أسامة،دار المشرق العربي، عمان الأردن، ط01،2006.

– القاموس المحيط، محمد الدين بن محمد يعقوب الفيروزأبادي، دار الحديث، القاهرة، مصر، مراجعة أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، 1429هـ /2008م.

–تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط07، 1418هـ 1998م .